

1157- قليل من الخيال، يصلح السياسة

تعتة الوفد

تعلمتُ من مرضى، ومن محاولتي أن أفهم من يختلف عني، أن أقمص أحوالهم الواحد تلو الآخر، وأفادني ذلك كثيراً برغم الصعوبات واحتمال الخطأ، وكم تعرضت لخرج شديد مع نفسي حين أقمص مريضاً، دخل فأدخلني في منطقة حرجة من الأفكار والمعتقدات والاحتمالات لم أكن أتصور أنني سوف أزورها، بل إنني أدافع عن حق مريضى أن أصدق خبرته فيما يعايش من أعراض حتى الهلوسة، فمن حقه أن يشم ما لا أشم، وأن يرى ما لا أرى، مادامت خبرته حقيقية من واقعه الداخلى، وليس المرضى بالضرورة، وذلك حتى أستطيع أن أعود إليه ونحاول أن نقرأ معا خبرته و قدرته على تنشيط ما يسمى حواسه الداخلية، بدلا من اتهامه ببعده عن الواقع مجرد أنني أو أحد زملائي أو طلبتي لا نمر بنفس الخبرة.

حنة تقمصية أخرى صالحتني على أصدقائي (مرضى وغير مرضى) من أى دين آخر، صالحتني، بحق وحقيقى، غير حكاية المواطنة بالأحضان، والقبلات، والتصريحات الخطابية بقبول هذا الكلام الذى يستعمل من الظاهر، ذلك أننى حين أعامل أحد هؤلاء الأصدقاء المختلفين عن ديني، أسأل نفسى، ماذا لو كنت قد ولدت فوجدت أمى اسمها تريزا، والذى اسمه رياض، فأسموني حنين أو حتى بنفس اسمي "بجى"؟ أجيب نفسى كما أعلم طلبتي وزملائي أننى كنت سوف أعيش وأموت باحتمال تسعة وتسعين فى المائة وتسعة من عشرة دائرة، كما ولدت، فأتعلم من خبرة التقمص هذه أن أحترم من هو على غير ديني، وأدعو لنا نحن الاثنين بأن يتغمدنا الله برحمته التى تسعنا معا بلا أدنى شك.

هذه المقدمة الطويلة هى لشرح فائدة التقمص فى استيعاب عمق الاختلاف، ومن هنا رحلت أتمنى لو تقمص أحد أعضاء الحزب الوطنى المسئولين "جدا" دور المعارضة الجادة، إن وجدت، وهى موجودة حتما، أنى يعيش فى نظام يسمح بتداول السلطة حقيقة مجرد تخيل - أنه يعيش فى نظام يسمح بتداول السلطة حقيقة وفعلا، وبالتالي فإن احتمال أن يحسر الحزب الوطنى الانتخابات، لا قدر الله ولا كان (لا تخف سيدى!!) - وارء، فهل يا ترى لو

خطر هذا الخاطر على خيال مثل هذا المسئول، هل يا ترى سوف يظل أداؤه كما هو، وهو ما زال في موقعه على كرسي الاستقرار؟ أم أنه سيعمل حسابه ألا يتحقق ذلك أبداً، أعني ألا يحدث - لا قدر الله - أي تداول للسلطة، ولا غير السلطة، يعمل حسابه ليس بمجرد إعلان أن المخطورة لن تحصل على ما حصلت عليه من مقاعد في الانتخابات السابقة، لست أعرف من أين لهم هذا التأكيد، ما داموا يزعمون أنه لن يكون هناك قانون مستعجل ينظم التزوير بالأصول الحكومية المرعية؟ أو ربما يصدر تشريع يلزم بتنفيذ مبدأ أنه "ما بُنى على محذور فهو محذور" وبالتالي يحظر تسلم الحصانة لأي محذور مهما حصل على أصوات، تصورت أن مجرد مثل هذا الخيال لاحتمال تداول السلطة هو مفيد جداً لتحسين أداء أي مسئول نتيجة لشعوره باهتزاز الكرسي من تحته بالأصول القانونية جداً، أو على الأقل بإعمال الخيال. قال تداول السلطة قال!!؟ "تداول سلطة من؟؟؟ يعني ماذا؟ أهى لعبة؟ بعيداً عن شارب أيها واحد (من غير الكوتة لافتقاد الكوتة أي شارب والحمد لله)، تبادل السلطة لا يمكن أن يحظر حتى في الخيال إلا إذا كانت هناك انتخابات بحق وحقيقى المرة تلو المرة، انتخابات تهدد أى كرسي مهما كان ثباته، ولا يتحقق ذلك إلا بعد نتائج متتالية تتراوح فيها النسب بين الجالس على الكرسي، والجاهز للجلوس عليه، بين 55% مقابل 45% ثم 52% مقابل 48%، ثم حاسب يا جدع انت!! الحكاية قُرِبت!! (وليس مجرد كلام أو صور البرادعى!!)، يتكرر هذا عدة مرات، أقول إنه ما دام هذا الاحتمال غير قائم ولو في الخيال فلماذا كل هذا التعب والمصاريف في احتماليات الانتخابات المتكررة بما تحوى من مخاطر، وكراسي في الكلوب، وبلطجة، ومضاعفات، وفضائح أمام العالم الخارجي؟

أعرف أنى صعبتها أكثر، فدعوني أخص الرأى كالتالى :

إن فائدة أن تعيش في بلد ديمقراطى (مع كل تحفظاتى على الديمقراطية المستوردة السابقة التجهيز بأمانة العراق، والكونجرس الصهيونى العالمى، والفيتو الأمريكى في مجلس الامن ..إلخ)، هو أن يتصور الحاكم أنه سيترك موقعه، ويتصور المعارض أنه سوف يدير أمور بلده برنامجه البديل، قريباً، أو بعد فترة. إن هذا أو ذاك جدير بأن يحسن أداء القائم على الأمر، ويحسن استعدادا الذى يجهز نفسه لتولى الأمر.

أشعر أن المسألة ما زالت معقدة، دعونى أحاول أن أجعلها أسهل.

أنا تعلمت الخيال طفلاً من قصص عم شعبان وهو يدير الطلمبة " الماصة كابسة" ليملاً بها خزان المياه فوق سطح منزلنا، ثم من الخدمات الأمهات الطبيبات، ثم من مرضى أساتذتى، وأواصل تدعيمه الآن اسبوعياً من مجلة "ميكى" وبقدر ما أخشى عليه من التسطيح من مجلة "علاء الدين".

في عدد ميكى الأخير (برجاء الرجوع إليه يوم 21 الجارى،

فالصور تجسد الخيال أجملاً) وتحت عنوان "ذهب إنسان آلى" كان على عم ذهب أن يسافر في رحلة عمل، وكان كل العاملين لديه في أجازة، ولم يجد أحداً منه ليحرس خزائنه أثناء غيابه، فذهب إلى صديقه "عبرينو" وطلب منه أن يطوّر له نظام الأمن بالخزنة عن طريق صنع إنسان آلى يشبهه تماماً، وأن يكون قويا وذكيا وقادرا على التصرف والحركة في مواجهة الأعباء وحيل "عصابة القناع"، وقد استجاب عبرينو لطلبه، وصنع له بديلاً آلياً كأنه توأمه، واطمأن عم ذهب الحقيقي إلى إحكام الشبه وهو يرى ذهب الآلى وهو يستحم (أو يعم) في كومة الأوراق المالية كما كان يخلو له أن يفعل، وحين حاولت عصابة القناع سرقة خزنة عم ذهب، فوجئت بوجود شبيهه الآلى، الذى استطاع أن ينتصر عليهم مجتمعين بجيله وذكائه وأمانته، وأسلحته وأفخاخه، وحين عاد عم ذهب الحقيقي من رحلته، وقع في فخ أعده ذهب الآلى لعصابة القناع، ففرح بأن بديله يستعمل نفس حيله تماماً تماماً، لكن ذهب الآلى استحل السلطة، ورفض أن يتنحى عن دوره، بل وادعى أنه ذهب الحقيقي، في حين أن عم ذهب الأسمى هو الدخيل، وعبثاً حاول عم ذهب الحقيقي استرداد مكانته وبيته وخزائنه، فإلجأ إلى عبرينو الذى لا يجد حيلة للتخلص من غرور وتمادى ذهب الآلى إلا أن ينتظرا هو وصديقه ذهب الحقيقي حتى تفرغ بطارية ذهب الآلى خلال شهر أو اثنين، فيطلب منه ذهب الحقيقي أن يستضيفه حتى ذلك الحين، فيفعل مضطراً وهو بئس، ويعلن أنه أخطأ في تصنيع الشبيه العنيد ويعلن: " أن ذهب واحد في هذا العالم يكفى".

هل يا ترى وصلت الرسالة؟ وأن ذهب واحد في هذا البلد يكفى؟ وهل يا ترى عندي حق أن أتصور أن السادة المستقرين على الكراسى، لا يخطر على بالهم، ولا في الخيال، أى حتمال لما يسمى "تبادل السلطة"؟ وحتى لو فرغت بطارية عم ذهب الآلى، فسوف يتبقى عم ذهب الحقيقي واحداً في العالم، كما تعلم الدرس عبرينو.

الذى يمكن أن يغير الأداء، ليس فقط تغيير النظام، وإنما خوف القائم على النظام من أن يتغير بحق وحقيقى.